بسم الله الرحمن الرحيم

الحق منحصر في الشريعة الإسلامية وليس مشاعاً بين الديانات والثقافات

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد اطلعت على أوراق مستخرجة من موقع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تتعلق بالندوة العلمية التي نظمتها الجامعة الإسلامية بالمدينة واستضافتها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حول مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، وبدأت هذه الندوة في ١٤٣٣/١١/١٨هـ، وقد جاء فيها أن معالي مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الدكتور محمد العقلا ألقى كلمة أكد فيها أن سماحة الدين الإسلامي وإنصافه، جاءت بإقرار الحق مهما كان مصدره، والاعتراف بالصواب بغضّ النظر عن قائله، وأضاف أنّ مبدأ الحوار بين أهل الأديان مبدأ قرآني خالص، وأسلوب نبويّ مشروع، إذ نجد القرآن ينادي أهل الكتاب و - حتى المشركين - في أكثر من موضع، محاوراً لهم في شبهاتهم، ومتسائلاً عن أدلتهم، يقابل الحجة بالحجة، منطلقاً إليهم مما يؤمنون به، ومحتجًّا عليهم بما يعتقدون، ومناقشاً لهم فيما خالفوا فيه الحق، وأشار إلى أن هذا المبدأ هو الذي وفق الله خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية للانطلاق منه، في مبادرته السامية «للحوار بين أتباع الأديان والثقافات»، وهي المبادرة التي تنعقد حولها هذه الندوة المباركة، مؤكداً أن هذه المبادرة تفترض أن الحق مُشاعٌ لا يحق لأحد احتكاره، والصواب ضالة يسعى كل صاحب دين أو ثقافة تحصيله، وما لم يؤمن أصحاب الأديان والثقافات بهذه الفكرة، فلا يمكن تحقيق التعايش والتوافق والتسامح الذي هو أساس العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأن الحوار هو وسيلة الأطراف المفترقة لتجد أرضاً مشتركة، تقف عليها الأقدام راسخة لتبدأ منها تحديد أوجه الاتفاق والقواسم المشتركة، وتضع أيديها على مواطن الاختلاف، دون إلزام طرفٍ بالتنازل عما يعتقد من مبادئه وثوابته لأجل الآخر، وبعيداً عن نبذ المخالف والتنكر لما يعتقد، وأشار إلى أن هذه الندوة تحاول إبراز أهمية مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين الأديان لتفعيلها والإفادة من سموّ فكرتها، سعياً لإعادة هيكلة العلاقات الإنسانية على أسس العدالة والتسامح والتعايش السلمي بين الجميع، واستشراف عوامل وإمكانات إعادة بناء الثقة بين العالم الإسلامي والآخر.

وهذه تنبيهات حول هذه الكلمة:

١. إن مما لا شك فيه أن الحق منحصر فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، وأنه يلزم جميع الثقلين بعد بعثته صلى الله عليه وسلم الإيمان به والتمسك بدينه الحنيف

الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه؛ قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقال: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾، وقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، ومعنى قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: أسلِموا، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى هرقل عظيم الروم: «أسلم تسلم» رواه البخاري(٧) ومسلم (٤٦٠٧)، وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم (٣٦٨)، وقد ذكرت شيئاً من التفصيل في ذلك في الكلمة التي كتبتها بمناسبة انتاج وإخراج فيلم في أمريكا مسيء إلى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم نشرت في ١٤٣٣/١١/٨هـ تحت عنوان: «لن يضر السحابَ في السماء نباحُ الكلاب التي تحميها الديمقراطية الزائفة».

٢. لاشك أن التوراة والإنجيل المنزلين على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام حق، وأن الذين أخذوا بهما من أصحابهما كانوا على حق، وقد حصل بعد زمانهما التحريف والتبديل والزيادة والنقص، ودل على ذلك القرآن، قال الله عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾، وكل ما جاء في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مضافاً إلى التوراة والإنجيل فإنه يُقطع بوجوده في الكتابين المنزلين وإن لم يوجد فيهما بعد التبديل، ومن أمثلة ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الآية، وقوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾، وهذه الصفات لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل لا وجود لها فيما في أيدي اليهود والنصارى من الكتب المبدلة.

٣. أن شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة للشرائع السابقة، وأن الحكم والعمل لا يكونان إلا فيها، وأن التعويل في جميع المجالات لا يكون إلا عليها ، قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، وقال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآية، وقال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾، ولا يبحث عن الحق والهدى فيما في أيدي اليهود والنصارى من الكتب المبدلة، وما جاء فيها من كلام حسن فقد جاء في شريعة الإسلام ما هو خير وأحسن منه؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» حديث صحيح رواه ابن أبي عاصم في السنة (٤٨)، ولا يصح أن يقال بعد بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: إن الحق مشاع لا يحق لأحد احتكاره، والحق الذي لا حق سواه أنه يتعين على جميع المكلفين من الجن والإنس الإيمان والالتزام بكل ما جاء به المصطفى صلوات الله وسلامه وبركاته عليه من الحق والهدى، ولا يقال: إن ذلك احتكار، بل هو التزام بما أوجبه الله كما قال الله عز وجل: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾، وقال: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾.

٤. ما جاء في الكلمة من أن مبدأ الحوار بين أهل الأديان مبدأ قرآني خالص، وأسلوب نبويّ مشروع، إذ نجد القرآن ينادي أهل الكتاب و ـ حتى المشركين ـ في أكثر من موضع، محاوراً لهم في شبهاتهم، ومتسائلاً عن أدلتهم، يقابل الحجة بالحجة، منطلقاً إليهم مما يؤمنون به، ومحتجًّا عليهم بما يعتقدون، ومناقشاً لهم فيما خالفوا فيه الحق، هو كلام صحيح والذين يقومون بتحقيقه وتطبيقه هم علماء الشريعة، فقد ألّفوا في ذلك مؤلفات، منها: «تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل» لأبي البقاء الهاشمي (٦٦٨هـ)، و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، و«هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن القيم (٧٥١هـ)، و«وإظهار الحق» لرحمة الله الهندي (١٣٠٨هـ)، وللشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رسالة مختصرة أسماها: «البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية»، أما من سواهم فدخولهم في هذا المجال لا يسلم من التخاذل والقول على الله بغير علم.

٥. أما مبادرة خادم الحرمين الملك عبد الله حفظه الله ووفقه لما فيه رضاه بالحوار بين أتباع الديانات والثقافات فمعلوم أن المقصود منها التعايش السلمي بين دول العالم بحيث لا يحصل الأذى من أحد لأحد ولا الاعتداء من أحد على أحد، ومنه ما أُصطلح عليه بين الدول في هذا الزمان من إيجاد سفارات لكل دولة في دول أخرى ترعى مصالحها ويُرجع إليها في شؤونها المتعلقة بها.

٦. ما جاء في الكلمة من التعبير بأخوة الإنسان لأخيه الإنسان لا يتفق مع ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات أن الأخوة إنما تكون بين المسلمين؛ كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم» الحديث رواه مسلم (٦٥٧٨)، ولشيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله كلمة بعنوان: «لا أخوة بين المسلمين والكافرين ولا دين حق غير دين الإسلام» كتبها إبان رئاسته للجامعة الإسلامية بالمدينة ونشرت في مجلتها في عددها الرابع

من السنة السابعة في ربيع الآخر ١٣٩٥هـ وهي في مجموع فتاواه (١٧٣/٢)، قال فيها: «أما بعد، فقد نشرت صحيفة عكاظ في عددها ٣٠٣١ الصادر بتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٧هـ خبرا يتعلق بإقامة صلاة الجمعة في مسجد قرطبة، وذكرت فيه أن الاحتفال بذلك يعد تأكيدا لعلاقات الأخوة والمحبة بين أبناء الديانتين الإسلام والمسيحية. انتهى المقصود، كما نشرت صحيفة أخبار العالم الإسلامي في عددها ٣٩٥ الصادر بتاريخ ١٣٩٤/٨/٢٩هـ الخبر المذكور وذكرت ما نصه: «ولا شك أن هذا العمل يعتبر تأكيدا لسماحة الإسلام وأن الدين واحد» إلى آخره، ونظرا إلى ما في هذا الكلام من مصادمة الأدلة الشرعية الدالة على أنه لا أخوة ولا محبة بين المسلمين والكافرين، وإنما ذلك بين المسلمين أنفسهم، وأنه لا اتحاد بين الدينين الإسلامي والنصراني، لأن الدين الإسلامي هو الحق الذي يجب على جميع أهل الأرض المكلفين اتباعه، أما النصرانية فكفر وضلال بنص القرآن الكريم» ثم ذكر أدلة على ذلك من الكتاب والسنة وبيَّن أن الحق بعد البعثة النبوية في الدين الإسلامي وحده، ثم قال: «أما ما سواه من الأديان الأخرى سواء كانت يهودية أو نصرانية أو غيرهما فكلها باطلة، وما فيها من حق فقد جاءت شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم به أو ما هو أكمل منه، لأنها شريعة كاملة عامة لجميع أهل الأرض، أما ما سواها فشرائع خاصة نسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي أكمل الشرائع وأعمها وأنفعها للعباد في المعاش والمعاد»، وختم كلمته رحمه الله بقوله: «ولو قيل: إن هذا الاحتفال يعتبر تأكيدا لعلاقات التعاون بين أبناء الديانتين فيما ينفع الجميع، لكان ذلك وجيها ولا محذور فيه»، وهذه الجملة الأخيرة هي التي تلتقي معها مبادرة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله للحوار بين أتباع الديانات والثقافات.

ومن يطلع على كلمة شيخنا رحمه الله الذي تولى تصريف أمور الجامعة منذ تأسيسها خمسة عشر عاماً نائباً لرئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ثم رئيساً لها وكلمة مديرها السادس يظهر له الفرق بين حال الجامعة في زمان شبابها وحالها في زمان شيخوختها وهرمها، والله المستعان.

٧. أما ما جاء في آخر الكلمة من البعد عن نبذ المخالف والتنكر لما يعتقد فهو مما يُستغرب ويُتعجب منه! وكيف لا يتنكر المسلمون ولا ينكرون القول بأن عزيراً ابن الله وأن المسيح ابن الله، والقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، والقول: إن الله ثالث ثلاثة وكل ذلك مما جاء إنكاره في القرآن الكريم؟!

وأسأل الله عز وجل أن يوفق بلاد الحرمين حكومة وشعباً لكل خير، وأن يحفظها من كل شر، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٤٣٣/١٢/٢٤هـ،

عبد المحسن بن حمد العباد البدر